

ملاحم التفكير اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح

أ.د. عمر لحسن
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار- عنابة

البريد الإلكتروني المهني: dr.lahcenamor@gmail.com

ملخص

لا شك أن لكل أمة علماء وعظماء تفتخر بهم، تركوا بصمتهم في كل مجال من مجالات البحث العلمي. والجزائر كغيرها من الأمم لديها مجموعة كبيرة من العلماء تفتخر بهم على مر التاريخ. ابن الجزائر البار العالم اللساني الجليل، الذي رفع رأس الجزائر عاليا في عالم اللسانيات في جميع المحافل العربية والإقليمية والعالمية، بالنظر إلى المكانة التي يحتلها بين قرنائه من علماء اللسانيات العرب والغرب. فمنهم من لقبه بـ "أبي اللسانيات"، ومنهم من يسميه "شيخ اللسانيات"، ومنهم من يطلق عليه لقب "الأب الروحي لللسانيات العربية" وهي ألقاب تنم عن المكانة المرموقة التي يحتلها لديهم. فقد سطع نجمه في سماء اللسانيات العربية، إنه العلامة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي استنبط قوانين اللسان البشري وتجريد نماذج صورية له وتصحيح بعض الأقاويل لبعض الدارسين اللسانيين المحدثين واقتراح بدائل عنها. والذي تميز بالقراءة الناقدة الكاشفة الواعية بالتراث اللساني العربي. فمن هو الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.

Caractéristiques de la pensée linguistique chez Abderahmane Hadj-Salah

Abstract

Sans aucun doute, chaque nation a ses fiers érudits et ses grands hommes qui ont réalisé des réalisations dans tous les domaines de la recherche scientifique. L'Algérie, comme tout autre pays, a eu de nombreux érudits dont elle peut être fière tout au long de son histoire. Le fils noble de l'Algérie, compte tenu de la position qu'il occupe parmi les rangs des linguistes arabes et occidentaux, faisant de l'Algérie la tête du monde de toutes les linguistiques dans les forums arabes, régionaux et internationaux. Un linguiste de premier plan qui s'est hissé au sommet. Certains l'ont appelé le "père de la linguistique", d'autres l'ont appelé le "chef de la linguistique", d'autres l'ont appelé le "père spirituel de la linguistique arabe". C'est le professeur Abderahmane Hadj-Salah, qui a conçu les lois du langage humain, a modifié certaines des déclarations et proposé des alternatives de certains linguistes contemporains, distingués par son esprit critique et perspicace, et consciente du patrimoine arabe.

المقدمة:

لا شك أن لكل أمة علماء وعظماء تفتخر بهم، تركوا بصمتهم في كل مجال من مجالات البحث العلمي. والجزائر كغيرها من الأمم لديها مجموعة كبيرة من العلماء تفتخر بهم على مر التاريخ. ومن هؤلاء العلماء، يمكن أن نذكر الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، ابن الجزائر البار العالم اللساني الجليل، الذي رفع رأس الجزائر عاليا في عالم اللسانيات في جميع المحافل العربية والإقليمية والعالمية، بالنظر إلى المكانة التي يحتلها بين قرنائهم من علماء اللسانيات العرب والغرب. وقد أطلق عليه طلبته عدة ألقابا، فمنهم من لقبه بـ"أبي اللسانيات" (1)، ومنهم من يسميه "شيخ اللسانيات" (2)، ومنهم من يطلق عليه لقب "الأب الروحي لللسانيات العربية" (3) وهي الألقاب تتم عن المكانة المرموقة التي يحتلها لديهم، والاحترام الكبير الذي يكنونه له.

فقد سطع نجمه في سماء اللسانيات العربية، منذ وقت مبكر مع ثلثة من العلماء المغاربة، وفي هذا يقول عبد السلام المسدي: " انبثق الوعي المعرفي باللسانيات في المغرب العربي منذ مطلع العقد السادس من القرن المنصرم، على يد رواد اكتشفوا هذا العلم في ربوع الجامعات الفرنسية، فكان من الطبيعي أن يلجوا هذا العلم من أبوابه، فدرسوا كتاب سوسير وتمثلوه، وكان أحمد الأخضر غزال في المغرب، وعبد الرحمن الحاج صالح في الجزائر، وصالح القرمادي في تونس من المبشرين الأوائل" (4). بل إن بعضا من الباحثين من عدّ هؤلاء اللسانيين المغاربة من المرجعيات العلمية (5)، باعتبارهم "يمثلون حالات من التفكير خاصة، طبعت الفكر والثقافة العربيين" (6).

تعود معرفتي بالحاج صالح إلى سنة 1979، حينما كنت طالبا في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة عنابة، حين كانت أستاذة اللسانيات الأستاذة زبيدة حنون تحدثنا عن علماء اللسانيات من أمثال دو سوسير وتشومسكي وبالمسلاف وبلومفيلد في الغرب، وعبد الصبور شاهين وقام حسان وعبد السلام المسدي وعبد القادر المهيري، ولكنها حين يأتي الحديث عن عبد الرحمن الحاج صالح يصبح حديثها كثير الحماسة لهذا الرجل بالنظر إلى الاحترام الكبير الذي كانت تكنه له والتقدير المتميز الذي يحظى به لديها. وهو ما حمسني في تلك الفترة على البحث والتنقيب في مسيرته العلمية ومشواره الأكاديمي.

1- سيرته العلمية

درس في المدارس الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي للبلاد، وفي الوقت نفسه كان يتلقى دروسا بالعربية في إحدى المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وفي سنة 1947م بعد حملة واسعة حملتها الشرطة الفرنسية على المناضلين والمواطنين، رحل إلى مصر، وكان ينوي مواصلة دراسته في كلية الطب تخصص جراحة الأعصاب. غير أنه التحق طالبا بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، وهناك اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي العربي بما اطلع عليه من

¹ يحيى صلاح الدين، الفكر اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح والتأصيل اللساني للسانيات العربية الحديثة، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 39، مارس 2018، ص 143.

² صالح بلعيد، شيخ اللسانيات المغفور له عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، العدد 25، جوان 2017، ص 64.

³ منى بوشموخة ومسعوده خلاف، النظرية الخليلية الحديثة لعبد الرحمن الحاج صالح وأهميتها في تحسين الطرح اللساني العربي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي (الجزائر)، المجلد 13، العدد 02، سنة 2021، ص 1167.

⁴ عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله تونس، دت، ص 43.

⁵ ينظر يوسف منصر، خطاب قراءة التراث في كتابات عبد السلام المسدي، ضمن كتاب جماعي بعنوان اللسانيات العربية مراجعات وتطبيقات، تقديم نعيمة سعدية، منشورات ألفا للوثائق، عمان، ط 1، 2020، ص 321.

⁶ صدوق نور الدين، سير المفكرين الذاتية: دراسة وتحليل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 19-20.

كتاب سيبويه خاصة. واتضح له الفرق الكبير بين وجهات النظر الخاصة بالنحاة العرب الأقدمين وما يقوله المتأخرون منهم. وكان هذا دافعا مهما في حياته العلمية. ولم يستطع أن يكمل دراسته في مصر وتحصل على شهادة الليسانس من جامعة بوردو. وبعد أن أسهم في ثورة أول نوفمبر لمدة سنوات، عمل بثانوية مولاي يوسف في الرباط أستاذا للغة العربية، واغتنم الفرصة لمواصلة دراسة الرياضيات في كلية العلوم. وهذا أيضا حادث أثر في حياته الثقافية، وقربه أكثر من اللغوي العبقري الخليل بن أحمد. وبعد حصوله على التبريز في اللغة العربية، قام بتدريس اللسانيات في كلية الآداب بالرباط باللغة العربية في 1960 م (الأول مرة في المغرب العربي)⁽⁷⁾.

وفي عام 1966 أصبح حاج صالح أستاذا زائرا بجامعة فلوريدا الأميركية، وفي عام 1979 حصل على شهادة الدكتوراه في اللسانيات العربية من جامعة السوربون بفرنسا، وكانت أطروحته بالفرنسية بعنوان:

Linguistique arabe et linguistique générale :

Essai de méthodologie et d'épistémologie du Ilm al-àArabiyya

في حياة الحاج صالح حدثان هامان شكلا منعرجا كبيرا في حياته العلمية، أولاهما دراسته في المدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في وهران، هذه الدراسة التي أدت إلى تعلقه باللغة العربية، ثم إقامته في الأزهر الشريف التي تزود أثناءها بالتراث العلمي العربي، وثانيهما دراسته لللسانيات الحديثة والرياضيات، وهذا ما أدى به إلى التعمق في المفاهيم المنطقية القديمة والحديثة، ومفاهيم علم اللسان العربي، وحينها اكتشف أن الخليل بن أحمد سبق أوانه بألف سنة. وعن هذه القضية يقول الحاج صالح: "... فالتحقت بالجامع الأزهر، وكانت فرصة عجيبة، لأن مقامي بالمشرق غير كل شيء في حياتي، لا سيما في الدراسة، إذ كنت قد اخترت وأنا في الجزائر الرياضيات تخصصا، فإذا أنا أمام تراث علمي عظيم في ميدان اللغة خاصة، وشعرت آنذاك أنه غير مستثمر، فزادني ذلك يقينا يوم اكتشفت وأنا طالب في فرنسا بعد رجوعي من مصر ميدانا عظيما ازدهر في أوروبا أيما ازدهار هو: "ميدان اللسانيات وفقه اللغة المقارن"، ولكن تحرجي وميلي الشديد إلى الموضوعية جعلني أتحفظ تحفظا كبيرا في تحليل النصوص القديمة، وذلك تجنبنا للتطبيق الأعمى للمفاهيم الغربية على التراث العلمي العربي، فقد كنت متيقنا أن التصورات العلمية العربية كانت تمتاز من التصورات الغربية بشيء كبير من الخصوصية، فكان يجب ألا أسقط - على حسب تعبير علماء النفس - على أقوال الخليل وسيبويه أقوال دو سوسير وأتباعه لمجرد شبه ألاحظه... " (8).

أما الشطر الثاني من حياته فهو الذي قضاه أستاذا وباحثا في جامعة الجزائر بعد الاستقلال. وعين في سنة 1964 م رئيسا لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات، ثم انتخب عميدا لكلية الآداب، وبقي على

7- ينظر الشريف بوشعديان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، العدد 7، جوان 2010. وينظر أيضا التواتي بن تواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 80.

8- بشير إبرير، الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات، مجلة الفيصل، العدد 245، سنة 1997، ص 51-52.

رأس هذه الكلية إلى غاية 1968م. وتفرغ في ذلك الوقت للدراسة والبحث في علوم اللسان، حيث استطاع أن ينشئ معهدا للعلوم اللسانية والصوتية سنة 1966، وعمل على تجهيزه بأحدث الأجهزة وأسس أيضا مجلة اللسانيات المشهورة سنة 1971.

وفي هذا المعهد واصل الأستاذ بحوثه بفضل المختبرات المتطورة الموجودة فيه، وأخرج تلك النظرية التي لقبته في الخارج بالنظرية الخليلية الحديثة، وهي مطروحة في الرسالة التي نال بها دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة السوربون في سنة 1979م. وفي عام 1980م، أنشأ ماجستير علوم اللسان وهو نسيج وحده لأنه متعدد التخصصات، وقد نوقشت أكثر من مئة رسالة منذ أن أنشئ المعهد (معهد اللسانيات والصوتيات سابقا، ثم وحدة البحث في علوم اللسان والتبليغ اللغوي التي تحولت إلى مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية سنة 1991م).

وقد حصل الحاج صالح على جائزة الملك فيصل العالمية سنة 2010، تقديرا لجهوده العلمية المتميزة في تحليله النظرية الخليلية النحوية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة، ودفاعه عن أصالة النحو العربي، وإجرائه مقارنات علمية بين التراث ومختلف النظريات في هذا الموضوع، فضلا عن مشاركته في الدراسات اللسانية بحثا وتقويما وتعلّما، وجهوده البارزة في حركة التعريب⁽⁹⁾. وهو الباحث الجزائري الوحيد الذي نال هذه الجائزة.

2- الوظائف والمسؤوليات

شغل عبد الرحمن الحاج صالح خلال مسيرته العلمية، مجموعة كبيرة من الوظائف والمسؤوليات دارت كلها في فلك العلم والتعليم، حيث تكاد تخلو هذه المسيرة من النشاط السياسي، لولا أنه عيّن من قبل الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية، لكنه سرعان ما استقال منها في صمت. وقد برر استقالته قائلا "وجدت نفسي وحيدا ضمن تيار يدعو لفرنسة كل مراحل وأطوار التعليم، وكنت الوحيد بين أكثر من 150 عضوا أدعو إلى تعريب التعليم، فلاحظت أنني لا أستطيع تغيير الأمر، فخرجت واتجهت لاستكمال مشروع الذخيرة العربية." ومن بين هذه الوظائف والمسؤوليات، نذكر:

- أستاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة الرباط (1961-1962).
- أستاذ محاضر في جامعة الجزائر 1962.
- رئيس دائرة اللسانيات وقسم اللغة العربية بكلية الآداب بالجزائر، 1963-1965.
- عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر، 1965-1968.
- مدير معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1966-1984.
- مدير وحدة البحث في علوم وتكنولوجيا اللسان، 1986-1991.
- مدير المركز الوطني للبحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، من 1992 إلى 2006.

9- ضيف الله سعيد، إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح الجزائري في تسيير البحث اللغوي، مجلة العاصمة، قسم اللغة العربية، كيرالا، الهند، مجلد 9، 2017م، ص 161-162.

- رئيس المجمع الجزائري للغة العربية 2000-2017.

3- مؤلفاته

لم يفكر الحاج صالح، في بداية مشواره العلمي في الاعتكاف على التأليف، كما يفعل نظراؤه في المشرق العربي، الذين عرفوا بغزارة التأليف، بالنظر إلى انصرافهم إلى التأليف والابتعاد عن الحياة العامة والمسؤوليات الإدارية والعلمية والإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، والمشاركة في الملتقيات العلمية في كل بقاع العالم شرقا وغربا، وقد كان هذا ديدن عبد الرحمن الحاج صالح، مع ذلك فقد ألّف " مؤلفات عديدة في مجال اختصاصه الذي يلتقي كله في مجال اللسانيات العربية، وهي ذات قيمة علمية واضحة ومفيدة بالنسبة للباحثين المتخصصين والمبتدئين على حد سواء، وقد تنوعت بين الكتب وبين الأبحاث والمقالات العلمية المتخصصة التي نشرها في المجلات العربية والدولية باللغة العربية والإنجليزية والألمانية أيضا"⁽¹⁰⁾. وهذه المؤلفات " احتوت الدراسات اللغوية والنحوية والأصولية والبلاغية والدلالية. وما يتصل بمعارف نحوية وقواعد لغوية وفكر في الأصوات واللهجات وفي علم القراءات، وتحمل مؤلفاته بين دفتيها ألوانا من العلم متميزة ولمحات من الفكر القديمة والمستجدة، ونماذج من النظريات اللسانية والنحوية والبيانية تقتضي الاهتمام والتدقيق والتحرير فيضع لهذه الموضوعات أطرا خاصة وتفريعات متشعبة متشجرة، تمثل مرحلة عريقة ينضج فيها الفكر اللساني العربي الحديث لفهم علم اللغة العربية بجزيئاتها وكلياتها"⁽¹¹⁾ ويمكن أن نعرضها فيما يلي:

1. بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و2012م. وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعة أبحاث طويلة، بالإضافة إلى بحث بعنوان: مدخل إلى علم اللسان الحديث في المذاهب والنظريات اللسانية الحديثة، كان قد نشره في العدد السابع من مجلة اللسانيات سنة 1997⁽¹²⁾.
2. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و2012م..
3. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و2012م. علما أن هذا الكتاب بجزيائه ضمّ أغلب المقالات التي نشرها الحاج صالح في المجلات العربية والغربية، وقد بلغ عددها في الكتاب اثنين وخمسين بحثا، منها أربعة وأربعون باللغة العربية، وستة بالفرنسية، وبحث واحد باللغة الألمانية، وواحد باللغة الإنجليزية⁽¹³⁾.
4. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، سلسلة علوم اللسان عند العرب1، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و2012م..
5. منطق العرب في علوم اللسان، سلسلة علوم اللسان عند العرب2، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و2012م. ومنشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016م.
6. الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب3، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016م.

10- بشير إبرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ط 1، 2021، ص 67.

11- يحيى صلاح الدين، الفكر اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح والتأصيل اللساني للسانيات العربية الحديثة، ص 144.

12- ينظر المرجع نفسه، ص 70.

13- وقد أشار الأستاذ الدكتور بشير إبرير (وهو أحد أبرز طلبة الحاج صالح)، إلى أن مجموع أبحاث عبد الرحمن الحاج صالح قد بلغ خمسا وسبعين بحثا.

ينظر المرجع نفسه، ص 69.

7. البنى النحوية العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب4، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016م.

وهذه الكتب الأربعة السالفة الذكر تعدّ سلسلة في علوم اللسان كما سماها هو بنفسه، حين قال: "هي موجّهة إلى أهل الاختصاص في علوم اللسان وتاريخ العلوم، وإلى جمهور المثقفين العرب الذين لهم اهتمام بالتراث اللغوي العلمي ويعلمون اللسان القديمة والحديثة"⁽¹⁴⁾.

8. النظرية الخلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، عبد الرحمن الحاج صالح، سلسلة كراسات المركز، العدد الرابع، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، 2007م.

9. اللسانيات العربية واللسانيات العامة، دراسة منهجية وإبستمولوجية لعلم العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، دكتوراه دولة، جامعة السربون، 1979م بالفرنسية. وتمثل هذه الرسالة على حد تعبيره في المقدمة: "خلاصة نظرية وتطبيقية بذل فيها جهودا مضنية دامت سنين من البحث والتقصي الدقيق للتراث اللغوي العربي في مضانه ومصادره الأولى المؤسسة عند علمائه، وقراءته قراءة ناقدة وازنة لمفاهيمه مقارنة باللسانيات الغربية الحديثة، مبينا جهود الخليل وسيبويه وابن جني الذين يمثلون نظرية حقيقية في النحو. نظرية عربية، نظرية أصول العربية، وجاءت هذه الرسالة أطروحة فكرية ثقافية واصفة للمétathéorie للنظرية اللغوية العربية"⁽¹⁵⁾.

أما بشير إبرير فيرى أن هذه الكتب الأربعة تمثل، في نظره، ترجمة مضافا إليها بعض ما يخص الباحث العربي بصفة خاصة لرسائله في الدكتوراه التي تعد المرجع الأساسي الذي يعود إليه عبد الرحمن الحاج صالح في كل ما كتب⁽¹⁶⁾.
10. الأمثال الشعبية الجزائرية- بالأمثال يتضح المقال-، قادة بوطارن، ترجمة عبد الرحمن الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987م.

4- إنجازاته العلمية

خلال مسيرته العلمية الحافلة التي دامت أكثر من خمسين سنة، أنجز الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، عدة مشاريع علمية، منها مشاريع أنجزت ومنها مشاريع ما زالت إلى اليوم طور الإنجاز. وتذكر فيما بعض هذه المشاريع الكبرى على سبيل المثال لا الحصر.

1.4. معهد العلوم اللسانية والصوتية، وقد يكون الأول من نوعه في الوطن العربي، وقد تم تأسيسه سنة 1964 بموجب قرار وزاري، بفضل الوزير أحمد طالب الإبراهيمي، الذي دعم المشروع ورعاه بشكل خاص⁽¹⁷⁾. وقد تم تجهيزه آنذاك بأحدث الأجهزة العلمية المتعلقة بالمعامل الصوتية والحاسوبية لدراسة اللغة العربية من الناحية اللسانية في مستوياتها الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية⁽¹⁸⁾.

14- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2010، ص 7.
15- Abderrahmane El hadj Salah, linguistique arabe et linguistique générale, p03.

فقلا عن المرجع السابق، ص 75.

16- بشير إبرير، المرجع السابق، ص 76.

17- محمد يميان، اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، المجلد 6، عدد 1، 1988، ص 35. فقلا عن بشير إبرير اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 85-86.

18- بشير إبرير اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 86.

وقد ذكر الباحث التونسي محمد الصالح بن عمر أن معهد العلوم الصوتية واللسانية، يشتغل به ثلاثة مختصين في علم الأصوات، ومهندس في الإلكترونيك، يحتوي على مخبر للغات مجهز بأحدث الأجهزة الصوتية، منها حنك صناعي وكيموغراف إلكتروني، ومسجل ذبذبة ذو أشعة فوق بنفسجية، وسونوغراف، وآلة لإنتاج الأصوات من نوع أوفافا، ومصلحة كاملة للتصوير بالأشعة⁽¹⁹⁾. وقد كان المعهد تابعا لجامعة الجزائر ومقره ابن عكنون، ثم تحول إلى بوزريعة وأصبح يحمل اسم مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، فأصبح بذلك مركز بحث، بعد أن كان مكلفا بالتكوين والبحث.

2.4. الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي: وهو من نتائج المشروع الأول، حيث تم إنشاء "دبلوم الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي بمعهد العلوم اللسانية والصوتية"⁽²⁰⁾. وقد استعان الحاج لإنجاح هذا المشروع بفرق بحث متخصصة متعددة الاختصاصات، منها اللسانيين، المهندسين في الحاسوب، والأطباء المختصين في أمراض الكلام، المختصين في الرياضيات والفيزياء والإلكترونيك، واللغات الأجنبية. وقد كان الطلبة يأتون من كل مناطق الوطن العربي، بل حتى بعض البلدان الأوروبية ذات العلاقة به⁽²¹⁾.

3.4. مجلة اللسانيات

هي مجلة علمية محكمة ومصنفة، متخصصة في البحث اللساني، تتميز بشروط نشر صارمة، تهتم بتوطين اللسانيات في الجزائر وفي الوطن العربي، تنشر الأبحاث باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية. وقد صدر منها ثمانية وعشرون مجلدا، يحتوي كل مجلد على عشرين. ويشرف عليها حاليا مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية الذي كان قد أسسه الحاج صالح وكان مديرا له إلى غاية، وهي مصنفة (ج) ضمن المنصة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP).

4.4. مشروع الذخيرة اللغوية

كتب عبد الرحمن الحاج صالح مقالا نشر في مجموعة من المجلات، قدم فيه تصوره الخاص للمشروع الذي سماه "الذخيرة اللغوية"، وهو مشروع "يعد من أهم المشاريع العلمية والفكرية الحضارية التنموية؛ التي تهدف إلى استثمار العربية في ميدان تكنولوجيا المعلومات وترقيتها لتواكب التطورات العلمية في مختلف المجالات"⁽²²⁾. ويعود المشروع إلى سنة ست وثلاثين خلت، حيث يصرح الحاج صالح في هذا الصدد: "هنا كان لي الشرف أن عرضت على مؤتمر التعريب الذي انعقد في 1986م فكرة الذخيرة اللغوية العربية وفوائدها الكبيرة بالنسبة للبحوث اللغوية والعلمية عامة وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة. وحاولت أن أقنع زملائي الباحثين على أهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع لامتيازه بأبعاد تتجاوز المؤسسة الواحدة بل البلد الواحد. ثم عرضت الجزائر على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية والثقافة والعلوم هذا المشروع في ديسمبر 1988م فوافق أعضاؤه على تبنيه في حدود إمكانيات المنظمة"⁽²³⁾. فهذا المشروع نشأ من فكرة

19- محمد الصالح بن عمر، اللغويون العرب والوسائل التقنية الحديثة في دراسة الأصوات، مجلة دراسات عربية، العدد 1 و2، 1985، ص 73-74. وينظر

بشير إبرير، بحوث ودراسات في علوم اللغة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن)، ط 1، 2020، ص 76-77.

20- محمد بيجان، اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، المجلد 6، عدد 1، 1988، ص 189.

21- بشير إبرير اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 87.

22- سميرة لعوير، مشروع الذخيرة اللغوية وأثره في تطوير وترقية اللغة العربية وانعكاساته على التنمية، مركز ابن النفيس للدراسات والأبحاث، ص 2.

<https://centre-iner.com/category/أبحاث-و-دراسات/page/3/>

23- عبد الرحمن الحاج صالح، مشروع الذخيرة اللغوية العربية وأبعادها العلمية والتطبيقية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، المجلد 1،

العدد 2، 1996، ص 34-35.

الاستعانة بالكومبيوتر (الحاسوب) واستغلال سرعته الهائلة في علاج المعطيات وقدرته العجيبة في تخزين الملايين من هذه المعطيات في ذاكرته، لإنشاء بنك آلي من المعطيات يحتوي على أهم ما حرّر بالعربية مما سينتجه على مرّ السنين.

وسيكون هذا البنك الآلي تحت تصرف أي باحث في أي مكان في العالم، فيمكنه أن يسأل الحاسوب عما يشاء من المعلومات فيجيبه بسرعة الضوء. ونحن نعرف أن الباحث - واللغوي خاصة- قد يقضى الشهور بل والسنين الطوال في قراءة الأسفار الكثيرة من الكتب حتى يعثر على بغيته⁽²⁴⁾. وهذا سيتحقق بإنجاز بنك آلي للغة العربية المستعملة بالفعل؛ يتضمن أمهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية والتقنية وغيرها، وعلى الإنتاج الفكري العربي المعاصر في أهم صورة بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتى الميادين.

وعلى هذا، فهو بنك نصوص لا بنك مفردات، ثمّ إنّ هذه النصوص تمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية، فليست نصوصا يصطنعها المؤلفون، بل نصوص من اللغة الحيّة الفصحى المحررة أو المنطوقة. وأهم شيء في ذلك هو أن يكون هذا الاستعمال الذي سيخزّن بشكل النص، كما ورد في ذاكرة الحواسيب هو استعمال العربية طوال خمسة عشر قرنا في أروع صورة، ثمّ هو يغطي الوطن العربي أجمعه في خير ما يمثله من هذا الإنتاج الفكري (زيادة على الكثير جدا من الخطابات العفوية).⁽²⁵⁾

1.4.4. المزايا الرئيسية للذخيرة

إن المزايا التي تستخلص من الذخيرة عندما يتم إنجازها، كثيرة، يمكن أن نذكر منها ما يلي:

- إنّها هي الاستعمال الحقيقي للغة العربية لا ما تأتي به بعض القواميس من أمثلة مصطنعة.
- استفاضتها وشموليتها بتغطية هذا الاستعمال لجميع البلدان العربية وامتدادها من عهد الشعر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر.
- تمثيلها لهذا الاستعمال بوجود كل النصوص ذات الأهمية فيها المحررة منها والمنطوقة الفصيحة في الآداب والحضارة والدين والعلوم والثقافة العامة والفنون وكذا الحياة اليومية.
- اعتمادها على أجهزة إلكترونية في أحدث صورها وهي الحواسيب وما إليها من الوسائل السمعية البصرية وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تجمع وتوسع هذه الكمية الهائلة من النصوص (الملايير من الجمل والألفاظ) والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تجيب عن مختلف الأسئلة بسرعة النور؛ أي في بضع ثوان، والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بعمليات تعالج بها النصوص وذلك مثل الترتيب الآلي الأبجدي لمجالات المفاهيم وفهرسة الكتب. هذا زيادة عن الاستخراج الآلي لجذور الكلم أو أوزانها الواردة في نص من النصوص وغيرها من العمليات العلاجية المفيدة.
- إمكانية طرح الآلاف من الأسئلة على الذخيرة عن بعد وفي نفس الوقت عبر العالم (وسرعة الإجابة كما قلنا) بعرضها على الشاشة وإمكانية طبعها بالليزر وغيرها في وقت وجيز والحصول عليها في أي مكان، وذلك بفضل (مثل شبكة الإنترنت) التي ستخصص للذخيرة إن شاء الله.⁽²⁶⁾

إن المنهج الرياضي الذي اتبعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه الرائد (العين)، المتمثل في نظام التقليلات، قد أوحى لعبد الرحمن الحاج صالح بفكرة الذخيرة اللغوية. فعمل الخليل المتمثل في ما هو موجود وما يمكن أن يوجد

24- مشروع الذخيرة العربية:

<https://www.marefa.org/> مشروع الذخيرة العربية

25- المصدر نفسه، ص 38.

26- ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، مشروع الذخيرة اللغوية العربية وأبعاده العلمية والتطبيقية، ص 38-39.

بالقوة في حدود الحروف الهجائية العربية، يتوافق وفكره الرياضي القائم على الدقة والتدقيق معا. وهذا ما وجد صداه اليوم فيما سعى من أجله جاهدا أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مشروع الذخيرة العربية الذي يعد فوغل العرب، حيث أعطى أوصافا للمعجم الجامع لألفاظ اللغة العربية المستعملة، إذ يستخرج هذا المعجم من الذخيرة الآلية، فهي مصدر من المعطيات التي ينطلق منها ويعتمد عليها الواضعون لهذا المعجم الكبير، الذي لا يختلف عن الذخيرة إلا بالترتيب الأبجدي وغيره لمحتواه المعجمي، وبالدراسات والتحليلات الخاصة بكل مدخل من مداخلها، حيث إن كل مفردة تثبتت في الذخيرة، لا بد أن يحرر لها بحث لغوي مستفيض.

وقد اقترح أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح أشكال المعجم الآلي الذي ينقسم - حسب رأيه- إلى مجموعات مرتبة لألفاظ الذخيرة، ثم إلى معجم موسوعي لغوي يخصص لكل لفظة دراسة علمية مستفيضة. أما المجموعات المرتبة، فهي عبارة عن جذاذات آلية، كل واحدة منها تختص بترتيب معين وفق الآتي :

- 1- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الألفاظ).
- 2- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).
- 3- ترتيب بحسب تردد الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص)، وتجزأ إلى ترتيبات بحسب العصور وفي مرحلة أخرى بحسب المؤلفين وأصحاب النصوص .
- 4- ترتيب بحسب شيوع الكلمة أي ذيووعها في البلدان العربية في الوقت الراهن، وفي كل حقبة (50 سنة) مما مضى .
- 5- ترتيب بحسب العلوم والفنون.

ولقد أشار صاحب الذخيرة إلى عنصر هام في العملية المعجمية، يتمثل في الخرائط الجغرافية التي تبين ذيووع الكلم العربية في مختلف الأقاليم والتعرف على تنوعاتها الصوتية في الأداء هذا بالنسبة للمعجم الآلي، أما المعجم المحرر فسيكون حسب رأيه على غرار ما وضع من الذخائر اللغوية الفرنسية أو الإنجليزية، فهو موسوعة يحرر فيها العلماء بحوثا خاصة بكل لفظة، وذلك من حيث ما يأتي:

- تحليل دلالي للفظلة انطلاقا من السياقات وحدها.
- ذكر المقابل الإنجليزي والفرنسي لكل كلمة إن وجد، أو ما يقرب منه، مع بيان الفوارق التصورية.
- تعليق صوتي وصرفي ونحوي وجيز بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة قديما مع ذكر المصادر والمراجع.
- تعليق تاريخي للمادة وفروعها انطلاقا من تحليل النصوص أو المقارنة بينها.
- بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل، وتكليفها.
- بيان شيوع الكلمة الجغرافي بحسب العصور.
- ذكر متجانسات ومترادفات وأضداد الكلمة إن وجدت.
- ذكر الدراسات التي خصصها لها العلماء قديما وحديثا إن وجدت⁽²⁷⁾.

2.4.4. الدراسات التي تسمح بها الذخيرة

أما الدراسات التي يمكن القيام بها انطلاقا من الذخيرة وبالنظر في محتواها فيمكن أن تخص اللغة العربية في ذاتها؛ لأن الذخيرة هي بمنزلة ما دون من كلام العرب في عهد اللغويين العرب الأولين؛ فقد جمعو العدد الهائل من النصوص النثرية والشعرية وأمثال العرب وكلامهم العفوي، بالإضافة إلى النص القرآني وانطلقوا من هذه المدونة العظيمة لاستنباط قوانين العربية وأوصافها من الاستعمال الحقيقي لها، كما استخرجوا منه المعجم العربي . وعلى هذا فإن أنواع الدراسات

27- صفية مطهري، أهمية النظرية الخليلية في الدرس اللساني العربي الحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 116، سنة 2009، ص

اللغوية التي يمكن أن تقام على الذخيرة كثيرة جدا مثل دراسة تطور معاني الكلمات عبر العصور، ودراسة ترددها بالنسبة لعصر واحد أو مؤلف واحد، ودراسة تردد المواد الأصلية وأوزانها في كتاب واحد أو عدة كتب ودراسة صيغ الجمل بحسب الأغراض والموضوعات، ودراسة أساليب الكتاب في كل عصر، ودراسة اتساع رقعة الاستعمال للمصطلحات في عصرنا هذا، ودراسة الأصوات العربية (من خلال الذخيرة الآلية الصائتة) ودراسة مجالات المفاهيم الحضارية أو العلمية خاصة، ودراسة المترادف والمشتراك من الألفاظ في الاستعمال في وقت معين، ودراسة الغريب والشواذ أفرادا وتركيبا كيف وكما، وبالنسبة إلى كل مؤلف أو نص وكل عصر، ودراسة صيغ الجمل وظواهر الفصل والوصل في الخطاب، ودراسات في المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من الصور البيانية، ودراسة تطور كل هذا وغير ذلك مما يخص اللغة كلغة قديما أو حديثا وعبر العصور والبلدان.

كل هذا قد قام به الكثير من العلماء قديما وحديثا ولكن مزية الاستفادة الزمانية المكانية لمحتوى الذخيرة وأليتها يسهل على الجميع الخوض في أعماق الواقع التعبيري والاتصالي، ومن ثم الفكري المعيش للأمة العربية القديم والحديث (28).

5.4. النظرية الخليلية

لقد سعى الحاج صالح منذ بداية مشواره العلمي إلى الحفاظ على اللغة العربية، وإثرائها، لتكون قادرة على أداء الدور المنوط بها بشكل مثالي، "فكان يصر على المعرفة بالنماذج القديمة التي تكسب المتن اللغوي الصحيح، لا العربية التي يغلب عليها السجع، وانتقاء الألفاظ، فلا يلزم امتلاك معرفة مستفيضة بالتفصيلات المعقدة للنحو العربي، لأنه لا ينظر إلى النحو على أنه الإعراب والتفهم. يركز الأستاذ على الأصالة اللغوية لا مقابل للحداثة، بل كمقابل للتقليد مهما كان المقلد، ومهما كان زمانه ومكانه. وقد حاول الأستاذ أن يبين أن التراث العلمي اللغوي الأصيل مما أبدعه الأولون ثري بالأفكار الأصيلة، والمنهج النافعة، والتحليلات العميقة، وهي لا تقل قيمة عما جاءت به الدراسات الحديثة، وذلك مثل المفاهيم العربية في الصوتيات. كما أكد أصالة النحو العربي، محاولا الربط بين النزعات المختلفة في هذه المسألة. ويحاول الأستاذ وضع النقاط على ربط التراث العربي الأصيل بأحدث ما ينتجه العلم الحديث، ومما هو مجمع على صلاحيته" (29). يقول الحاج صالح في الكتيب الذي خصصه للتعريف بالنظرية الخليلية وأسسها: "وأفضت هذه البحوث إلى النظرية التي سميت بالخليلية الحديثة، وكانت موضوع رسالتنا لنيل دكتوراه الدولة. وقد صارت منذ ذلك الوقت العماد النظري اللغوي لعدة دراسات قام بها باحثون من مختلف الأفاق العلمية، وخاصة مركز البحوث لترقية اللغة العربية بالجزائر، من مهندسين في الحاسوبيات وأساتذة في اللغة العربية والإنكليزية في أمراض الكلام وغيرهم" (30). وقد أشار إلى أن هذه التسمية قد أطلقها بعض الإخوان من اللغويين من خارج الجزائر، وأن هذا شرف له (31).

فلما أحس بأن معرفته بالتراث العربي قد بلغت درجة عالية من النضج والعمق، قام باقتراح نظرية لسانية عربية جديدة، تحاول أن تقدم قراءة جديدة للتراث اللساني العربي برؤية حديثة تستفيد من منجزات الدرس اللساني الغربي الحديث، فهي نظرية تقوم "على تعريف الدارسين بخصائص علوم اللسان العربي، ومضامينه النوعية انطلاقا من مقولات اللسانيات الحديثة، وقد أثبتت هذه النظرية أهمية قراءة التراث العربي الذي يمثل مستخلصات ثمانية قرون أو تزيد من

28- ينظر المصدر نفسه، ص 39-40.

29- ضيف الله السعيد، إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في تسيير البحث اللغوي، ص 162.

30- عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد 04، سنة 2007، ص 11.

31- المصدر نفسه، ص 03.

مخاض التفكير اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية الحديثة. وهذا يعني أن المفاهيم النظرية الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة اتجهت إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي الأصيل، والبحث في خفاياه، ليس انتصاراً للقديم، ولا هدماً للحديث في ذاته، ولكن بغية التنبيه إلى الطفرة التلقائية المفاجئة التي أحدثها "سيبويه"، وشيوخه، وتلاميذه في تاريخ علوم اللسان البشري بعد أن تحامل عليهم كثير من الدارسين المحدثين الذين تأثروا بالمنهج الغربية الحديثة، ونظروا إلى النحو والصرف العربيين بمنظار قاصر بدعوى أنهما معياريان، وأنهما بعيدان عن التصور العلمي للغة"⁽³²⁾. إنها "نظرية لسانية حديثة واصفة ناقدة لنظرية عربية قديمة هي نظرية الخليل وسيبويه، فهي بهذا نظرية على نظرية "Métathéorie"⁽³³⁾. وقد ذكر الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح الغاية من هذه النظرية بقوله: "فالغاية من هذا البحث هو قبل كل شيء التعريف بهذه النزعة التي تصف نفسها بأنها امتداد منتقى للآراء والنظريات التي أثبتتها النحاة العرب الأولون وخاصة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وفي الوقت نفسه مشاركة ومساهمة للبحث اللساني في أحدث صورة، وخاصة البحث المتعلق بتكنولوجيا اللغة"⁽³⁴⁾. فهي نظرية ظهرت خلال الربع الأخير من القرن العشرين، تختص بدراسة الفكر اللغوي العربي دراسة علمية اعتماداً على مجموعة خاصة من المفاهيم والمصطلحات دون تعصب ولا تبعية"⁽³⁵⁾.

ويرى محمد صاري - وهو أحد تلاميذ الحاج صالح - أن أفكار هذه النظرية تميزت بالأصالة والتجديد، وأنه يرجع

إلها الفضل في كثير من القضايا، منها:

- تنبيه الباحثين لضرورة الاهتمام بشخصيات علمية فذة في تاريخ الفكر اللغوي العربي.
- اقتراحها لمصطلحات جديدة وإحيائها لمصطلحات أصيلة.
- تفسيرها العميق لكثير من المفاهيم النحوية والبلاغية التي استغلق فهمها على كثير من الدارسين.
- مساهمتها في التعريف بالتراث الأصيل وإحيائه وتسهيل الاطلاع عليه.
- تنبيه الباحثين الذين اشتغلوا بموضوع تيسير القواعد النحوية إلى ضرورة التمييز الحاسم بين النظرية النحوية العربية القديمة وتطبيقاتها التربوية.
- إثبات أن المفاهيم والمبادئ التي قامت عليها النظرية اللغوية العربية القديمة، ليست غريبة، ولا هي ملفقة أو دخيلة على الدرس اللغوي كما يزعم المفتونون بالمنهج الغربية الحديثة"⁽³⁶⁾.
- لقد كان ديدن النظرية الخليلية منذ نشأتها محاولة بعث الجديد في الفكر اللساني العربي "عبر إحياء المكتسب، فتجاوزت بذلك مرحلة الاقتباس السلبي عند نقلها عن الغرب، أو عند نشرها عن العرب، وبنيت قراءتها للتراث وتأصيل مبادئه علمياً، بعيداً عن العاطفة، على أساسيين:
- أولهما أن التراث العربي لا يفسره إلا التراث العربي، فكتاب سيبويه على سبيل المثال لا يفسره إلا كتاب سيبويه، لأنه من المحال أن نسقط على التراث مفاهيم وتصورات لا تأخذ في الحسبان خصوصياته"⁽³⁷⁾.

32- صدارة بلخير، أسس النظرية الخليلية من منظور اللساني عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات التطبيقية، المجلد 4، العدد 7، سنة 2020، ص 137.

33- بشير إبرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 203.

34- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موم للنشر، الجزائر، 2012، ج 1، ص 208.

35- التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2012، ص 85.

36- محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، ص 01، الموقع: <https://www.hamassa.com>

37- صدارة بلخير، أسس النظرية الخليلية، ص 138.

"ثانيتها أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامة، واللغوية خاصة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع، فهناك تراث وتراث!

فالتراث الذي تعلق به النزعة الخليلية الحديثة هو التراث العلمي اللغوي الأصيل، الذي تركه أولئك العلماء المبدعون الذين عاشوا في زمان الفصاحة اللغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة لغوية شاهدها تاريخ العلوم اللسانية. وأما الذين جاؤوا من بعدهم فكانوا عالة عليهم، إذ ضيقوا حدود النحو الواسعة، واستبدلوا مفاهيم القدماء الإجرائية النشطة بمفاهيم أخرى جامدة تأملية، مع بقاء نفس الألفاظ التي تدل عليها في الغالب"⁽³⁸⁾.

يبدو جليا " أن ما خلفه لنا الخليل احتاج إلى تجديد وتطوير وبحث حتى يصبح عمادا وقاعدة لكل طرح أو نظرية لسانية عربية، مع العلم أن اللسانيات تجمع بين أطراف وتخصصات متنوعة من مهندسين وأساتذة ومختصين في أمراض الكلام. وهذا ما حاوله اللساني الحاج صالح حين أراد الجمع بين المفاهيم اللسانية التراثية ونظيرتها المستحدثة؟ فقد مكنته فكره الموضوعي من أن يحافظ على خصوصية اللغة العربية، مع محاولة مواكبة المفاهيم الجديدة المستحدثة"⁽³⁹⁾.

إن تأصيل النظرية الخليلية معناه إثبات أصالتها بنفي مختلف الروافد الخارجية و(المقصود بالكلام هنا هو المنطق اليوناني)، التي ظن أنها النموذج الذي احتذى في بنائها، ووضع مصطلحاتها، وتصور مفاهيمها. كما أنه يندرج ضمن التأصيل الخارجي لها إثبات تميزها عن مختلف النظريات اللسانية الغربية الحديثة (البنوية، والتوليدية التحويلية)، أو بعبارة أخرى نفي التقليد وإثبات التميز⁽⁴⁰⁾. وفي هذا السياق يقول الحاج صالح: "والغريب الملقق أن أظهر هذه الآراء التي ألبست لباس البحث النزيه هي التي تنفي كل طرفة للمناهج العربية في النحو، وتنكر أن يكون النحاة العرب أخرجوا شيئا جديدا لعجزهم أو عجز البيئة الاجتماعية العربية على الإتيان بهذا الصنع المبتدع، وذهبوا يقارنون بين مصطلحاتهم وما تواضع عليه اليونان من قبلهم في علم النحو، ورأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيما أرسطوطاليسيا محضا. ويا ليتهم ما فعلوا، فينجوا من زلل لم يصب به أي عالم من قبلهم"⁽⁴¹⁾. فمجرد التشابه في بعض المصطلحات بين النحو العربي والنحو اليوناني لا يعني أن أحدهما ناقل عن الآخر مقتبس منه.

فالتراث الذي تعلق به النزعة الخليلية الحديثة هو التراث العلمي اللغوي الأصيل، الذي تركه أولئك العلماء المبدعون الذين عاشوا في زمان الفصاحة اللغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة لغوية شاهدها تاريخ العلوم اللسانية. وأما الذين جاؤوا من بعدهم فكانوا عالة عليهم، إذ ضيقوا حدود النحو الواسعة، واستبدلوا مفاهيم القدماء الإجرائية النشطة بمفاهيم أخرى جامدة تأملية، مع بقاء نفس الألفاظ التي تدل عليها في الغالب.

1.5.4. مميزات النظرية الخليلية

وتمتاز " النظرية الخليلية الحديثة " بجملة من المزايا، يوضحها العلامة الحاج صالح فيما يلي:

- الموضوعية العلمية؛ فهي تعتمد على المشاهدة، وهي بذلك علم محض وليست مجموعة اختيارات تعسفية تفرض معيارا لغويا معينا وتهدر المعايير الأخرى.

- التمييز بين ما هو راجع إلى التغيير الزماني؛ أي التاريخ والتطور عبر الزمان، وبين ما هو آني خاص بالنظام الداخلي للغة.

38- محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، ص 02،

39- صدارة بلخير، أسس النظرية الخليلية، ص 138.

40- صدارة بلخير، أسس النظرية الخليلية من منظور اللساني عبد الرحمن الحاج صالح، ص 139- 140.

41 - عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، العدد 1، 1964. ضمن كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 44.

- اللجوء إلى الصياغة المنطقية والرياضية، وهذا من أهم ما تمتاز به العلوم الإنسانية عن غيرها كالآداب والفلسفة وكما كانت النظريات في هذه العلوم التي تمتاز بها النظرية الخليلية الحديثة⁽⁴²⁾.

لقد اعتمد العلماء العرب، ورائدهم في ذلك الخليل، في تحليلهم للظاهرة اللغوية عددا من المفاهيم والمبادئ اللغوية التي سيكون لها دور عظيم في تفسير العلاقات المعقدة المجردة الكامنة وراء اللغة، ومن ثمة في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية⁽⁴³⁾. ومن الغريب جدا - كما يقول الدكتور الحاج صالح - أن تكون هذه الأعمال التي لا تضاهيها إلا ما أبدعه العلماء الغربيون في أحدث أعمالهم، مجهولة تماما في كتبها وجوهرها عند كثير من الدارسين والاختصاصيين المعاصرين.

2.5.4. مبادئها

تأسست "النظرية الخليلية الحديثة" على مفاهيم رئيسة تعدّ أساسا لتحليل اللغة والتعامل معها وكذا مضاهاتها للنظريات اللسانية الأخرى⁽⁴⁴⁾، وقد حددها عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "اعتمد العلماء العرب - وزعيمهم في ذلك الخليل - على عدد من المفاهيم والمبادئ لتحليل اللغة وأهمها:

- مفهوم الاستقامة وما إليها، وما يترتب من ذلك التفريق المطلق بين ما يرجع إلى اللفظ وبين ما هو خاص بالمعنى.

- مفهوم الانفراد في التحليل من هذا المفهوم.

- مفهوما الموضع والعلامة العدمية.

- مفهوما اللفظة والعامل⁽⁴⁵⁾، إضافة إلى وجود مفاهيم موزعة في مؤلفاته.

غير أننا حين نتصفح الدراسات التي تناولت المدرسة الخليلية، نجدتها تختلف في هذه المفاهيم، فمنهم من ذكر

منها المفاهيم التالية :

1- مفهوم الاستقامة

2- مفهوم الباب

3- مفهوم المثال

4- مفهوما الموضع والاستعمال

5- مفهوما الأصل والفرع⁽⁴⁶⁾.

أما خالد بوزياني من جامعة الأغواط، فيذكر مفاهيم أخرى، تختلف نسبيا عن تلك التي ذكرها بشير إبرير من

جامعة عنابة، حيث يذكر :

1- مفهوم الاستقامة

2- مفهوم الانفراد وحد اللفظة

3- مفهوم الموضع والعلامة العدمية ومفهوم اللفظة

42- منى بوشموخة ومسعودة خلاف، النظرية الخليلية الحديثة لعبد الرحمن الحاج صالح وأهميتها في تحسين الطرح اللساني العربي، ص 1168-1169.

43- محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، ص 02.

44- منى بوشموخة ومسعودة خلاف، النظرية الخليلية الحديثة لعبد الرحمن الحاج صالح وأهميتها في تحسين الطرح اللساني العربي، ص 1169.

45- فتحة عويقب، النظرية الخليلية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة، مجلة التعليمية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، المجلد 4، العدد 11، جوان 2017، ص 223.

46- بشير إبرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 204-213.

4- مفهوم العامل⁽⁴⁷⁾.

أما محمد صاري، فنجدته يذكر مجموعة أكبر من المفاهيم، إذ بلغ عددها ثمانية مفاهيم، حاولت أن تجمع بين التصنيفين السابقين، وهي كما يلي :

1- مفهوم الاستقامة

2- مفهوم الانفراد

3- مفهوم الكلمة واللفظة

4- مفهوم الموضع والعلامة العدمية

5- مفهوم الأصل والفرع

6- مفهوم الحركة

7- مفهوم العامل

8- التمييز الواضح بين الكلام كبنية والكلام كخطاب⁽⁴⁸⁾.

ونحاول فيما تقديم هذه المفاهيم، بشيء من التفصيل :

- الاستقامة

هي مفهوم علمي يعد من المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة، ويعود الفضل في ذلك إلى سيبويه الذي وضع في كتابه بابا أطلق عليه اسم "الاستقامة من الكلام والإحالة". قام فيه بوصف مستويات الكلام من حيث الحسن القبح والاستحالة⁽⁴⁹⁾. يقول الحاج صالح " فسيبويه على إثر الخليل هو أول من ميز بين السلامة الرجعة إلى اللفظ المستقيم الحسن أو القبيح، والسلامة الخاصة بالمعنى المستقيم/ المحال، ثم ميز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (النظام العام الذي يميز به لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين (وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان الناطقين أنفسهم)⁽⁵⁰⁾. فقد إدراك سيبويه بمعمق أهمية التركيب وعلاقته بالمعنى، عندما قام بتصنيف الأنماط الكلامية إلى تقسيم خماسي :

1- المستقيم الحسن، مثل : أتيتك أمس وسأتيك غدا

2- المحال وهو أن تنقض أول الكلام بآخره، مثل : أتيتك غدا وسأتيك أمس

3- المستقيم الكذب، مثل : حملت الجبل وشربت ماء البحر

4- المستقيم القبيح، وهو أن تضع اللفظ في غير موضعه، كقولنا : قد زيد رأيت وكى زيدا يأتيتك

5- المحال الكذب، مثل : سوف أشرب ماء البحر⁽⁵¹⁾.

- الانفراد وحدّ اللفظة

واللفظة في اللسانيات الخليلية عمادها الوقف والابتداء، فهي أقل ما يُنطقُ به مما ينفصل فيُسكت عنده ولا يلحق به شيء. أو يَبْتَدِئُ فلا يسبقه شيء. فما ينفرد وينطلق، أو ما ينفصل ويبتدئ هو صفة الانفراد. ومما تجدر الإشارة إليه، أن

47- خالد بوزباني، النظرية الخليلية الحديثة في النحو العربي مع البرفسور عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 25، جوان 2017، ص 338.

48- محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، ص 2-7.

49- بشير إبرير، بشير إبرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 204

50- عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، ص 30.

51- خالد بوزباني، النظرية الخليلية الحديثة في النحو العربي مع البرفسور عبد الرحمن الحاج صالح، ص 339.

كل وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها أو ما بعدها من الوحدات؛ بمعنى أن كل وحدة لغوية يمكن الابتداء بها والوقوف عليها حسب موقعها في الكلام.

فمن الألفاظ ما ينفصل ويبتدئ مثل: "الرئيس" في نحو قولنا: "جاء الرئيس" و"الرئيس جاء". ومنها ما ينفصل ولا يبتدئ مثل ضمير "تاء الفاعل" و"نا المضاف إليه" في نحو قولنا: "حَرَجْتُ" و"كتابُنَا". ومنها ما يبتدئ ولا ينفصل مثل حرف الجر في نحو قولنا: "في التأني السلامة".

ويحمل النحاة "اللفظة" على غيرها من المثل والنماذج فتفرع إلى لفظات هي نظائر للنواة، ولكنها أوسع منها، من خلال تعاقب زيادات قبلية وبعديّة عليها دون أن تفقد وحدتها أو تنفرد فيها أجزاؤها، فلا تخرج عن كونها لفظة (أي قطعة واحدة). وسمى النحاة هذه القابلية للزيادة ليمينا ويسارا "التمكن"⁽⁵²⁾.

- مفهوم الكلمة اللفظة

انطلق النحاة الأوائل في دراستهم للغة العربية من اللفظة بوصفها الوحدة الصغرى من الكلام، مما يمكن أن ينفصل ويبتدئ، وهي أقل ما يمكن أن ينطق به مما يصلح أن يكون مبنيا على اسم أو فعل، أو مبنيا عليه اسم آخر أو فعل⁽⁵³⁾. وبناء على هذا المفهوم فإن العبارات التالية: رجل، مع الرجل، رجل الغد، رجل قام أبوه أمس، الرجل الذي قام أبوه أمس... كل واحدة منها بمنزلة اسم واحد أي "لفظة"⁽⁵⁴⁾، بتعبير "الرضي" لا كلمة.

ولقد عرّف "سيبويه" هذه الوحدة وعبر عنها في أماكن عديدة من "الكتاب" بعبارة "كالاسم الواحد" أو "بمنزلة الاسم الواحد"، ومن ذلك مثلا قوله عندما تعرض لموضوع النعت: "فأما النعت الذي جرى مع المنعوت فقولك: مررت برجلٍ ظريفٍ قبلُ، فصار النعت مجرورا مثل المجرور لأنهما كالاسم الواحد"⁽⁵⁵⁾.

أما الكلمة عند النحاة الأوائل فهي أدنى عنصر تتركب منه "اللفظة"، إذ تحدد بالموضع الذي تظهر فيه في داخل المثال (الحد). وعلى هذا فالكلمة كاصطلاح نحوي ليست دائما مورفيما أقل ما ينطق به مما يدل على معنى بل هي العنصر الدال الذي يمكن أن يحذف من (اللفظة) دون أي ضرر أو تغيير للعبارة، كالحذف لحرف الجر من لفظة "بالرجل". فخروجه لا يسبب تلاشي الاسم.

أما العنصر الدال الذي إذا حُذِفَ أو استبدل بشيء آخر أدى إلى تلاشي العبارة التي يدخل فيها "كالنون" في "نَدَّهَبُ" و"التاء" في "أَفْتَعَلَ"، فهذه مورفيمات وليست كلمات، لأنها عناصر من مكونات الكلمة، فهي داخلية في صيغتها وليس لها الاستقلال النوعي للكلمة⁽⁵⁶⁾.

52- محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة.

53- محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية، ص 04.

54- جاء عند محمد صاري أن الحاج صالح لما لاحظ أن اللسانيات الغربية تفتقر إلى مصطلح اللفظة، اقترح عليهم استعمال المصطلح الأجنبي lexie مقابلا لها. ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات للنهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد 04، سنة 1973، ص 95.

55- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، دار الجليل، ط1، بيروت 1991، ص 421-433.

56- عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات الحالية في العالم العربي، بحث ألقى في ملتقى حول تطور اللسانيات في العالم العربي الذي نظّمته اليونيسكو في الرباط، من 1 إلى 11 أبريل، سنة 1987، مجموع ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 215.

- مفهوم الموضع والعلامة العدمية

يرى الحاج صالح أن المواضع التي تحتلها الكلم في هي حقيقة الأمر خانات تحدد التحويلات والتفريعات عبر الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزيادة التدريجية⁽⁵⁷⁾.

وتمثل هذه الزيادات التحويلات التفريعية التي يتم بواسطتها الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع أو العكس (ردّ الفروع إلى أصلها)، وعلى الرغم من الاختلاف الموجود، من حيث الطول والقصر بين العبارات التي تظهر بالتحويل التفريعي في داخل المثال المولد للفظة (schème générateur)؛ (رجل، الرجل، بالرجل، رجل الغد، رجل قام أبوه أمس..الخ.) فإنها تُعدُّ عبارات متكافئة باصطلاح الرياضيات، ولا يخرجها ذلك عن كونها لفظة. وبهذه العمليات التحويلية الخليلية يتحدد موضع كل عنصر داخل المثال⁽⁵⁸⁾.

وعليه يتحدد موضع كل عنصر داخل المثال، يقول الحاج صالح: "ولا بد من الإشارة أن المواضع التي هي حول النواة قد تكون فارغة لأن الموضع شيء وما يحتوي عليه هو شيء آخر (وهذه مفاهيم رياضية محضّة وهي أهم صفة يتصف بها التحويل الخليلي"⁽⁵⁹⁾.

أما العلامة العدمية فتعني خلو الموضع أو الخلو من العلامة أو تركها، بعبارة أخرى هي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر، وتشمل كل العلامات التي تميز الفروع من أصولها. ويذكر الحاج صالح بعض الأمثلة لهذه العلامات، مثل (المفرد - المذكر - المكبر) بالمقارنة مع (الجمع - المثنى - المؤنث - المصغر). ويشير إلى أن هذا المفهوم يجب أن يكون مرتبطاً بالموضع داخل بنية معينة ذات عرض وطول، بمعنى أن يكون موجوداً في البنية التي سميت بالمثال (schème générateur)⁽⁶⁰⁾.

- مفهوم الأصل والفرع

لقد تأسس التحليل اللغوي عند النحاة العرب القدامى على مفهومي الأصل والفرع. وهو مفهوم لا ينبني عليه النحو العربي وحده، بل كل علوم اللغة العربية.

قد جعل "الخليل" و"سيبويه" النظام اللغوي كله أصولاً وفروعاً، والفرع هو الأصل مع زيادة، أي مع شيء من التحويل، ويحصل ذلك بتفريع بعض العبارات عن عبارات أخرى تعتبر أبسط منها وبالتالي أصولاً لها. ويبين ذلك النحاة العرب باللجوء إلى منهج علمي هو ما يسمونه حمل الشيء على الشيء أو إجرائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعها، وهو البنية التي تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل، كما توضحها المتتاليات من الجمل التي أوردها سيبويه في كتابه:

- مررت برجلٍ راکبٍ وذاهبٍ.

- مررت برجلٍ راکبٍ فذاهبٍ.

57- عبد الرحمن الحاج صالح النظرية الخليلية، مفاهيمها الأساسية، ص 35.

58- محمد صاري، ص 04.

59- عبد الرحمن الحاج صالح النظرية الخليلية، مفاهيمها الأساسية، ص 35.

60- المصدر نفسه، ص 36.

- مررت برجلٍ راکبٍ ثم ذاهبٍ.

- مررت برجلٍ راکعٍ أو ساجدٍ (بمنزلة إما وإما)....

- مررت برجلٍ راکعٍ لا ساجدٍ (إما غلط فاستدرك وإما نسي فتذكر)... الخ⁽⁶¹⁾.

فالأصل ما يبني عليه ولا يبني على غيره، ويمثل النواة أو العنصر الذي يستقل بنفسه ولا يتغير؛ أي أنه يوجد في الكلام وحده ولا يحتاج إلى علامة أخرى تميزه عن فروعه فله العلامة العدمية؛ وتعني أن الكلمة موجودة بمعناها، ولكنها مختلفة في مظهرها اللفظي المحسوس. وتظهر كذلك عند مقابلتها بغيرها في الاستبدال؛ إذ يظل موقعا فارغا يرمز له بالعلامة العدمية (∅)⁽⁶²⁾. أما الفروع فمتغيرة متعددة يتعلق وجودها بالأصل وبصفاتهما الذاتية.

هذان المفهومان يبينان مع غيرهما من المفاهيم الأخرى منطوق العرب في علوم اللسان، فقد قسموا ضروب الكلام ومستوياته وعناصره إلى أصول وفروع. وقد يكون العنصر الواحد فرعاً للأصل وأصلاً لعنصر آخر.

- مفهوم الحركة

مفهوم غامض في أذهان كثير من المستشرقين واللغويين العرب الذين لم يتجردوا بعد من التصورات التي ورثها الغربيون عن الحضارة اليونانية. ووجه الغموض في هذا المفهوم راجع إلى عدم تمييز هؤلاء بين الحركة كصوت مسموع (أي مصوت) لا يقوم مقام الحرف ولكنه من جنسه، ولذلك سميت حروفاً صغيرة، والحركة التي تمكن من إخراج الحرف ووصله بغيره، والخروج منه إلى حرف آخر. وهذا هو المفهوم الذي يقصده القدماء من الحركة. قال الرماني في شرحه لكتاب سيبويه: "الحركة تمكن من إخراج الحرف، والسكون لا يمكن من ذلك" وقال أيضاً: "وإذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى حرف آخر"، ومعنى ذلك أن الحرف لا يحدث إلا في مدرج صوتي، أي في سياق متسلسل.

وقال ابن جني: "... لأن أصل الإدراج للمتحرك إذ كانت الحركة سبباً له وعونا عليه"⁽⁶³⁾. وعلى هذا الأساس، فإن الحركة عند العلماء الأوائل هي الدفعة والنقلة العضوية والهوائية التي تهيئ المتكلم لما بعدها، إذ يحتاج إليها للانتقال من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر، وكذلك من كلمة إلى كلمة أخرى. فهي إطلاق بعد حبس، عكس السكون الذي هو وقف لا يستلزم الانتقال إلى حرف آخر⁽⁶⁴⁾.

- مفهوم العامل

يرتبط مفهوم العامل في النظرية الخليلية ربط تبعية بالبنية التركيبية للجملة، فهو المحرك الحقيقي لعناصرها والضابط لترتيبها ولعلاقاتها، والمحدد لوظائفها التركيبية ولإسناد الحركات الإعرابية المناسبة لها، حيث لاحظ النحاة "أن الزوائد على اليمين تغير اللفظ والمعنى، بل تؤثر وتتحكم في بقية التركيب كالتأثير في أواخر الكلم (الإعراب)، وهذا المصطلح يكون على مستوى الجملة دون غيره من المستويات الأخرى"⁽⁶⁵⁾.

61- محمد صاري، ص 05.

62- ينظر خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة، الجزائر، 2000، ص 92. نقلاً عن بشير إبرير اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، ص 213-214

63- ابن جني، الخصائص، ج1، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب، بيروت (د.ت) ص 58.

64- محمد صاري، ص 5-6.

65- الزايدى بودرمة، النظرية الخليلية الحديثة، أسسها وحدودها المائتة، ينظر الموقع الإلكتروني :

فالعامل، أو العمل النحوي فكرة أساسية انبنت عليها نظرية النحاة العرب، ويقصدون به العنصر اللغوي الذي يؤثر لفظاً ومعنى في غيره، مثل الأفعال العربية كلها، وما يقوم مقامها، فهو معقول من منقول⁽⁶⁶⁾. فكل حركة من الحركات الإعرابية التي يجعلها المتكلم في أواخر الكلم، وكل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنما جاء تبعاً لعامل في التركيب، فلا نجد معمولاً إلا واقترح له العلماء الأوائل عاملاً متمثلاً في العنصر اللفظي أو المعنوي الهام، الذي يكون مع معموله زوجاً مرتباً. والنحاة ينطلقون في هذا من العمليات الحملية الإجرائية (حمل الشيء على الشيء)، فيحملون مثلاً أقل الكلام مما هو أكثر من لفظة، وينطلقون من الجملة التي تتكون من عنصرين، نحو: زيد منطلق، ثم يشروعون في تحويلها بالزيادة مع إبقاء النواة (كما فعلوا باللفظة) للبحث عن العناصر المتكافئة، أي البنية التي تشترك فيها الأنواع الكثيرة، بل اللامتناهية من الجمل. ويصرح سيبويه أن عنصرين اثنين لا تكاد تخلو منهما أبداً البنية اللفظية للجملة، وهما العامل والمعمول الأول⁽⁶⁷⁾.

- التمييز الواضح بين الكلام بنيةً والكلام خطاباً

لم يقتصر الفكر النحوي الخليبي في تحليلاته للغة وتفسير ظواهرها على الجوانب الشكلية (اللفظية) فحسب، بل تجاوز ذلك إلى الجوانب الوظيفية الإبلاغية، فتحدث النحاة عن الكلام الذي تحصل به الفائدة، وعن معاني النحو وما يتيح له صاحب الخطاب من طرق متنوعة للتعبير عن المعاني المقصودة⁽⁶⁸⁾. فمادة الدراسة النحوية عندهم هي الحديث (لا الحكم) من حيث هو تبادل لفظي ذو فائدة، يتم بين قطبين أساسيين هما المتحدث والمتحدث إليه. ولقد ربط "سيبويه" والنحاة الأوائل، عند وصفهم للغة، بين كل ظاهرة من الظواهر الصرفية والنحوية (الإفرادية والتركيبية) بما يمكن أن تؤديه من معنى، لا من حيث اللغة، ولكن من حيث البلاغة والفائدة. وأوضح دليل على ذلك هو اهتمامهم (أي النحاة) بمفهوم الجملة، وتمييزهم الصريح والحاسم بين الكلام بوصفه بنيةً والكلام بوصفه خطاباً.

ومن الجوانب التي اهتمت بها النظرية الخليبية الحديثة، تنبيه الباحثين إلى مفهوم الجملة وما يقتضيه التصور العربي لها. إذ يخطئ، في رأيها، من يعتقد أن "الكتاب" الذي اشتمل على أمهات المسائل اللغوية، والذي شهد له العلماء بالنضج والاكتمال، خال من مفهوم الجملة. فخلو الكتاب من المصطلح لا يعني بالضرورة خلوه من المفهوم كما أن خلو كتاب "سوسير" من كلمة بنية لا يعني أبداً إهماله لمفهوم البناء، فاستعماله لمصطلح نظام يتضمن مفهوم البنية⁽⁶⁹⁾.

- الخاتمة

بعد هذه الرحلة الشيقة في مسيرة اللساني الجزائري العربي الفذ عبد الرحمن الحاج صالح العلمية الحافلة، يمكن أن بعض الملامح التي ميزت هذه المسيرة:

- إن الخطاب اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح خطاب تدافعي وغير مهادن، لا يعرض عن مقولات اللسانيات الحديثة، ولا يقبل تنصيبها بديلاً وحيداً في إنتاج الخطاب اللساني العام. فالخطاب اللغوي التراثي ليس أقل شأناً منها، فهو يكافئها وقد يفوقها في استنباط قوانين اللسان البشري وتجريد نماذج صورية له. وهذا يعني أن تجربته تجربة

66- السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق د. أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، ط1، القاهرة 1976، ص: 03.

67- محمد صاري، ص 06.

68- عبد الرحمان حاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، العدد 06، جويلية - ديسمبر 1995، الجزائر.

69- محمد صاري، ص 07.

نوعية قلّ نظيرها في البحث اللساني العربي، لأنها تقوم على آلية فرز التراث في حد ذاته، وتحديد ما يصلح منه لأن يكون قابلاً للصياغة النظرية.

- كما يتسم خطاب الحاج صالح بنزعة التفنيد، وبخاصة ما اتجه منه نحو التراث العربي، حيث يفند ما فيه من أغلاط تم توارثها، ويفند ما جاء عند بعض الدارسين اللسانيين المحدثين من أقاويل مغلوطة عن التراث ويصححها ويقترح بدائل عنها.

وقد اتبع في خطابه استراتيجية أعلى بواسطتها من شأن التراث الأصيل وبوأه المكانة التي يستحقها، وكذا الشأن للسانيات الحديثة⁽⁷⁰⁾.

- ما من شك في أن كل مشتغل بدراسة اللغة العربية ومعرفة خصائصها لا بد له من أن يصطدم بالتراث اللساني العربي وبالكم الهائل من الأبحاث والدراسات التي قام بها علماء اللغة العربية على مر العصور. ومن جهة ثانية، تواجهه اللسانيات الحديثة ونظرياتها العديدة التي تدرس كل واحدة منها اللغة من وجهة نظر مختلفة. وقد واجه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ما واجهه غيره من اللسانيين العرب المعاصرين، فكان في بداية حياته العلمية في حيرة من أمره، بين التراث اللساني العربي واللسانيات الحديثة.

لكنه سرعان ما وطّن نفسه، وانتصر للتراث العربي، فراح ينقب فيه منذ بداية أربعينيات القرن الماضي عندما سافر إلى القاهرة، وأخذ مبادئ علم العربية في الأزهر الشريف، ثم أخذ مبادئ اللسانيات الغربية في جامعة بوردو بفرنسا، فأخذ كل اتجاه من مصدره الأصيل.

وإذا كان موقف العلماء العرب المعاصرين يتأرجح بين متعصب للتراث ورافض للسانيات الغربية بكل نظرياتها، وبين متعصب للسانيات الغربية رافض للتراث بدعوى أن اللسانيات الحديثة ظهرت من دو سوسير، فإن الحاج صالح استطاع بفضل معرفته الجيدة بالتراث والنظريات اللسانية الغربية استطاع أن يكون لنفسه موقفاً شديداً به عن أغلب معاصريه من اللسانيين العرب. فقد تميز بالقراءة الناقدة الكاشفة الواعية بالتراث اللساني العربي، المستوعبة لمبادئه ومنطلقاته الفكرية والعلمية المتمثلة لمفاهيمه ومصطلحاته، ثم قراءة اللسانيات الغربية - في الآن نفسه - قراءة موضوعية استخلص منها الأحكام العلمية الموضوعية التي تميز هذا الخطاب عن ذلك بعيداً عن الذاتية والتعصب.

فقد آمن منذ البداية بوجود فكر لساني عربي أصيل، يمكن أن يكون أساساً لنظرية لسانية عربية حقيقية وأصيلة، صرح بها عند مناقشته رسالة الدكتوراه في السوربون سنة 1979، ثم انبرى بعد ذلك يوضح معالمها ويدافع عنها حتى وافته المنية، تلك النظرية التي سماها بعض الباحثين العرب "النظرية الخليلية".

- إن هذه النظرية التي ابتكرها الحاج صالح هي خلاصة قراءة للتراث اللغوي العربي دام أكثر من أربعين سنة، وما فتئ يطورها ويضيف إليها، ويكتشف لها أبعاداً نظرية وتطبيقية، فهو لا يؤمن بالفكر النظري المحض الذي لا يرى له جدوى في مجال البحث العلمي، إذ يصرح في افتتاحية مجلة اللسانيات "يجدر بنا الإشارة الآن أن نقدم لقرائنا بعض التوضيحات

70- يوسف منصر، الخطاب اللساني المغربي: أصوله ومفاهيمه وإجراءاته، رسالة دكتوراه (مخطوط) قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار (عبانة)، الجزائر، 2013، ص 253-254..

حول الموقف الذي اتخذناه في إطار النظرية العامة للعلوم اللسان. نقول أولاً أننا نعتقد أن الأبحاث التطبيقية في هذه العلوم لحقيقة أن تحظى بنفس المكانة التي حظيت بها الأبحاث النظرية البحتة"⁷¹. فهي محاولة جريئة جادة لوضع معالم نظرية لسانية عربية، تقوم على الأبحاث الأصيلة التي قام بها النحاة العرب الأوائل مثل الخليل وسيبويه والجرجاني والاستيرابادي، رغم السخرية التي لاقاها من بعض اللغويين العرب الذي عدوا هذه النظرية من قبيل الأساطير (مثل عبد القادر الفاسي الفهري).

- كرس الحاج صالح حياته للدفاع عن اللغة العربية في جميع أنحاء العالم، بالرغم من تمكنه من عدد من اللغات الأجنبية، كالفرنسية التي أنجز بها رسالة الدكتوراه، والإنجليزية التي كان يدرس بها في الولايات المتحدة - كما أسلفنا -، بل وجدناه يستقيل من منصب عال جدا في الجزائر (رئيس اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية) لما وجد نفسه لا يخدم فيها اللغة العربية. وهي الجهود التي نال عليها جائزة الملك فيصل للغة العربية سنة 2010.

- إن هذه الرغبة في خدمة اللغة العربية هي التي جعلته يقترح سنة 1986 مشروع الذخيرة اللغوية، بوصفه مشروع الأمة العربية جمعاء، إذ وافقت عليه جامعة الدول العربية، فيكون منوطا بكل باحث غيور على اللغة العربية مهما كان تخصصه، ليكون في نهايته غوغل العرب.

71- بشر إبير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 88.